

## قِصَّةُ أُمَّةٍ

كَوَجْهِ صَبُوحٍ اِكْتَسَى مِنْ حُلْلِ الْحُسْنِ وَالْمَلَاخَةِ .. بَدِيْعًا بِلَا نَظِيْرٍ ، لَا تَسَامُ الْعَيْنُ مِنْهُ، يُشْرِقُ فِي غَسِّ الدُّجَى عَلَى أَرْضِ مَوَاتٍ .. كَانَ مَوْلَدِي.

كَأَنْبِلَاجِ الْفَجْرِ يَشْقُ مَجَاهِلَ الدُّنْيَا فِي دُجْنَةِ لَيْلٍ بَهِيْمٍ حَالِكِ السَّوَادِ .. كَانَ مَوْلَدِي.

كَرَنَّةِ الْأَفْرَاحِ تَسَابُ ثَرَّةً<sup>(١)</sup> مِنْ فَمِ الْعَنْدَلِيْبِ فِي مُهْجَةِ الظَّلَامِ الْهَيْوَبِ<sup>(٢)</sup> مُتْرَمًّا فَوْقَ الزَّوَابِعِ وَالْأَعَاصِيْرِ .. كَسَمَاتٍ بَارِدَةٍ عَلَى وَجْهِ كَالِحٍ فِي قَيْظِ الصَّحْرَاءِ .. كَامَلٍ مُرْتَجِيٍّ بِاسْمِ ضُحُوكِ أَبْيَضٍ نَاصِعٍ مُبْهَجٍ كَأَزْهَارِ الرَّبِيِّ، مَيَّاسٍ؛ كَعَرَائِسِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْحُقُولِ فِي أَفْوَافِ<sup>(٣)</sup> عَاطِرَةٍ تَهْفُو الْقُلُوبُ إِلَيْهِ فِي ظُلْمَةِ الْقُطُوبِ الْعَصِيْبِ .. كَأَغَارِيدِ الصَّبَاحِ يَنْعَمُ

(١) كَثِيْرَةٌ، وَثَرٌ الشَّيْءُ ثَرًّا: بَدَّدَهُ وَفَرَّقَهُ.

(٢) الْهَيْبَةُ وَالْمَهَابَةُ: الْإِجْلَالُ وَالْمَخَافَةُ، وَ(هَابَ الشَّيْءُ): إِذَا خَافَهُ وَإِذَا وَقَرَهُ. وَالظَّلَامُ الْهَيْوَبُ؛ أَي: الَّذِي يَخَافُهُ النَّاسُ.

(٣) (أَفْوَافٍ) جَمْعُ (فَوْفٍ)؛ أَي: الزَّهْرُ، أَوْ ثِيَابٌ رِقَاقٌ مُوشَّاةٌ.

الْجَمَالِ الْخُلُوبِ فِي شِفَاهِ الدُّهُورِ الذَّابِلَةِ مِنْ كَثْرَةِ اعْتِلَاجِ<sup>(١)</sup> النَّحِيبِ  
وَالْعَوِيلِ الْمُرِّ وَالشَّقَاءِ وَالْمِ الْبُؤْسِ وَالْيَأْسِ الْمُتْرَعِ بِالدُّمُوعِ .. كَيْدِ بَيْضَاءَ  
فَتِيَّةٍ تَمْتَدُّ لِعَرِيقٍ بَعْدَ يَأْسِهِ فِي مُسْتَنْقَعِ آسِنِ<sup>(٢)</sup> .. كَانَ مَوْلِدِي.

وَعَرَدَ الْكَوْنُ وَاسْتَبْشَرَ، وَارْتَدَّ وَجْهُ الْأَرْضِ يَنْضَحُ بِشْرًا، وَاسْتَنَارَتْ  
الدُّنْيَا بِمَوْلِدِي، وَتَأَلَّقَ الْفَجْرُ بِاسْمًا يَسْطَعُ بِنُورِهِ يُضِيءُ الْكَوْنَ. ...

فَمِنْ يَوْمٍ وِلَادَتِي؛ كَانَ لِي فِي هَذَا الْكَوْنِ شَأْنٌ وَأَيُّ شَأْنٍ، فَالْكَوْنُ  
جَمِيعُهُ كَانَ يَتَرَقَّبُ مَوْلِدِي، وَوَقَفَ الْعَالَمُ كُلُّهُ يَشْهَدُ الْمَخَاضَ وَلَحْظَاتِ  
الْوِلَادَةِ السَّعِيدَةِ .. الْمَجِيدَةِ، وَشَعَرَ الْعَالَمُ حَتَّى جَمَادَاتِهِ بِعِظَمِ الْحَدَثِ،  
فَلَمْ أُولَدْ قِرْمًا وَلَا صَغِيرًا كَأَثْرَابِي، بَلْ وُلِدْتُ عِمْلَاقًا كَبِيرًا؛ عَلَى رَأْسِي تَاجُ  
الْمَحَاسِنِ حَلِيَّةً، وَنُورُ الْفَضَائِلِ بِالْفَجْرِ الْوَضَاءِ. .. أَصْبَحْتُ أَنْشُودَةً يَتَرَنَّمُ  
بِهَا فَمُ الزَّمَانِ!

وَتَسَنَّمْتُ ذُرَى<sup>(٣)</sup> الْمَجْدِ سَرِيعًا يُوَثِّبَةُ الْأُسْدِ، وَصَعَدْتُ لِلْعُلَا بِرِيشِ  
النُّسُورِ، وَغَدَا تَرَابُ الْأَرْضِ فِي رَاحَتِي تَبْرًا<sup>(٤)</sup>، وَتَسَامَتِ الدُّنْيَا بِفِيُوضَاتِي

(١) الْاعْتِلَاجُ: الْأَضْطِرَابُ. وَاعْتَلَجَ الْمَوْجُ: التَّطَمَّ، وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ: (اعْتَلَجَ الْهَمُّ فِي صَدْرِهِ).

(٢) أَي: مُتَعَيِّرٌ فَاسِدٌ.

(٣) (ذُرَى) جَمْعُ (ذُرْوَةٍ)، وَ(ذُرْوَةٌ كُلُّ شَيْءٍ): أَعْلَاهُ.

(٤) التَّبْرُ: فُتَاتُ الذَّهَبِ، أَوْ الْفِضَّةِ؛ قَبْلَ أَنْ يُصَاغَا.

الْخَيْرَ عَلَى الْعَالَمِينَ.

وَمِنْ لَحْظَةٍ وَجُودِي فِي الْحَيَاةِ؛ وَأَنَا أَعْرِفُ ذَاتِي، وَأَعْرِفُ طَرِيقِي،  
كَمَا أَعْرِفُ هَدْفِي، وَكُنْتُ كَالنَّهْرِ أَحْفَرُ لِنَفْسِي الْمَجْرَى، وَمَسِيلِي بِالْخَيْرِ  
أَيْمًا انْحَدَرْتُ وَتَوَجَّهْتُ .. وَتَدَفَّقْتُ.

وَسِرْتُ عَلَى دَرْبِي بِخُطْيٍ تَائِبَةٍ لَا تَضْطَرُّ .. تَتَأَلَّفُ وَتَتَنَاغَمُ ذَرَاتُ  
كِيَانِي، تَعْرِفُنِي وَأَعْرِفُهَا، وَعِطَّرُ دَرْبِي لَمْ تُدْنَسْهُ أَنْفَاسُ الدَّثَابِ.

يَبْتَثِقُ مِنْ دَاخِلِي نُورٌ وَضَاءٌ يَسْطَعُ مِنْ بَيْنِ جَوَانِحِي، يَفِيضُ مِنْ  
حَوْلِي، أَنْثَرَهُ كَالنُّجُومِ فِي الْفَضَاءِ الْمَدِيدِ يُنِيرُ لِلْعَالَمِينَ وَيَهْدِي السَّائِرِينَ.

تَتَرَكِّزُ دَائِرَةُ الضَّوِّ عَلَيَّ، يَنْدَمِجُ النُّورُ مَعَ ذَاتِي، يَعْشَى كُلَّ ذَرَاتِ  
كِيَانِي، نُورٌ أَنَا .. وَضَاءٌ وَضِيَاءٌ يَزْرِي بِكُلِّ ضِيَاءٍ .. وَأَشَقُّ طَرِيقِي فِي النُّورِ،  
أَتَأَلَّأُ فِي ظُلْمَةٍ لَيْلٍ بَهِيمٍ، أُزِيحُ الظَّلَامَ .. أَبَدِّدُهُ، وَأَرْفَعُ نِيرَ الظُّلْمِ<sup>(١)</sup> عَنْ  
كَوَاهِلِ الْعَالَمِينَ<sup>(٢)</sup>.

أَصْبَحُ قِبْلَةً يَتَجَمَّعُ حَوْلَهَا الْحَيَارَى الْبَاحِثُونَ عَنِ الطَّرِيقِ بَعْدَ أَنْ  
تَاهُوا دُهُورًا، وَتَاهَتْ خُطْوَانُهُمْ فِي دُرُوبِ النَّيِّهِ<sup>(٣)</sup> .. الْمَوَاتِ.

ضَمَمْتُ الْعَالَمَ طِفْلًا بَيْنَ ذِرَاعِي الْوَدِيعَتَيْنِ أَحْوُ عَلَيْهِ مِنْ غِيَابِهِ فِي

(١) هِيَ: الْحَشْبَةُ الْمُعْرِضَةُ فَوْقَ عُنُقِ الثَّوْرِ أَوْ عُنُقِي الثَّوْرَيْنِ الْمُقْرُونَيْنِ لِحَرِّ الْحَرَاثِ أَوْ غَيْرِهِ.

(٢) جَمْعُ: (كَاهِلٍ).

(٣) أَي: الصَّحْرَاءِ الَّتِي لَا عَلَامَةَ فِيهَا يُهْتَدَى بِهَا.

## لُجَجِ الصِّيَاحِ وَالْعَذَابِ.

لَقَدْ كُنْتُ لِلْعَالَمِ الْكَوْكَبَ اللَّامِعَ، وَالنَّبْرَاسَ السَّاطِعَ، وَالْبَدْرَ الرَّاهِرَ،  
وَالْبَحْرَ الرَّاحِرَ .. كُنْتُ الثُّورَ وَالصِّيَاءَ .. كُنْتُ الْخِصْبَ وَالنَّمَاءَ .. كُنْتُ  
الْجُودَ وَالْعَطَاءَ .. كُنْتُ الْوُدَّ وَالصَّفَاءَ .. كُنْتُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْقَضَاءِ،  
وَكُنْتُ الْفِطْنَةَ وَالذِّكَاءَ .. كُنْتُ السَّنَا وَالنَّيَّاءَ .. كُنْتُ الزَّهْرَةَ الرَّهْرَاءَ فِي  
الرَّوْضَةِ الْعَذْرَاءِ. ... كُنْتُ لِلدُّنْيَا كَالنُّورِ لِلْعَيْنِ، بَلْ كَالرُّوحِ لِلْجَسَدِ.

أَصْبَحْتُ مَنَارَةً لِلسَّائِرِينَ .. يَسِيرُونَ عَلَيَّ دَرْبِي، وَيَتَّبِعُونَ خُطَايَ،  
تُصْبِحُ الْخُطَى خُطْوَةً وَاحِدَةً، تُرْسِمُ لِلْعَالَمِ عَلَيَّ الطَّرِيقَ صَوِيًّا<sup>(١)</sup> لِلنَّجَاةِ.  
وَبَدَأَ الْعَالَمُ يَأْلَفُ سَمَاعَ أَغَارِيدِ الطُّيُورِ الشَّادِيَاتِ عَلَى الْعُصُونِ،  
وَالْوُرُودُ تَخَضَّلَتْ<sup>(٢)</sup> بِاللَّدَى، وَتَهَدَّتْ بِعَطْرِهَا الْفَوَاحِ؛ فَفَاحَتْ بِالْعَبِيرِ ..  
كُنْتُ كَوْرْدَةً فِي قَفْرِ، أَوْ كَعُصْنِ رِيحَانَةٍ أَمْلُودٍ<sup>(٣)</sup> ..



وَلَكِنْ .. بَعْدَ هَيْبَةٍ؛ تَصَدَّأُ فِي الْقَلْبِ السُّنُونُ، وَاللِّيَالِي الْحَبَالِي

(١) ((صَوِيًّا) جَمْعُ (صَوَّةٍ): مَا نُصِبَ مِنَ الْحِجَارَةِ كَأَعْلَامٍ لِيُسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ فِي الْفِيَا فِي  
الصَّحْرَاءِ الْوَاسِعَةِ)، وَالْمَفَازَةُ: (الصَّحْرَاءُ) الْمَجْهُولَةُ، وَفِي الْحَدِيثِ: "إِنَّ لِلْإِسْلَامِ صَوِيًّا  
وَمَنَارًا كَمَنَارِ الطَّرِيقِ".

(٢) أَي: تَبَلَّلَتْ بِاللَّدَى.

(٣) الْأَمْلُودُ: الْعُصْنُ الْعُضُّ اللَّيِّنُ.

سَمِنَ الْوِلَادَةَ فَاجْهَضَ الْجَيْنِ، وَسَقَطَ اللَّيَالِي مَسْخٌ مَشَوْهُ مَبُودٌ كَرِيهٌ  
فِي الْعَالَمِينَ .. وَأَطْلَ صُبْحٌ أَسْوَدٌ ضَاعَ فَجْرُهُ أَنْعَسُ مِنْ لَيْلٍ حَزِينٍ ..  
مُتَجَلِّبٌ بِضَبَابٍ وَغُيُومٍ، وَالضَّوْءُ بِهِ ضَيْنٍ.

وَسَاحَتْ فِي الْأَرْضِ الْبُومُ وَالْغُرَبَانُ، وَهَاجَتِ الْخَفَافِيشُ وَجَوَابَاتُ  
الَّيْلِ السُّودِ، وَخَرَجَتِ الزَّنَائِيرُ<sup>(١)</sup> مِنْ أَعْشَائِهَا .. وَأَنْطَلَقَتِ الدَّيَّابُ  
وَالْوُحُوشُ مِنْ عَقْلِهَا<sup>(٢)</sup> لِنَعِيثَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا .. وَخَرَسَتِ الْأَطْيَارُ عَنْ  
تَغْرِيدِهَا.

وَعَاضَتِ الْأَمَانِي، وَذَوَتْ نَوَارَاتُ الْأَمَالِ، وَأَنْجَرَفَتِ الْأَحْلَامُ،  
وَأُنْحَدَرَتْ إِلَى ظُلُمَاتِ اللَّحُودِ، وَتَهَاوَتْ إِلَى جَحِيمِ الْقُنُوطِ .. وَأَضَحَتْ  
الْأَرْضُ قِفَارًا يَبَابًا، وَجَفَّتِ الْعُدْرَانُ، وَغَارَ النَّبْعُ الصَّافِي الرَّقْرَاقُ فِي وَادِي  
الْأَلَمِ مُتَعَثِّرًا بَيْنَ جَلَامِيدِ<sup>(٣)</sup> الصُّخُورِ، وَتَجَلَّبَبَ الزَّهْرُ الْجَمِيلُ بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ،  
وَاحْتَفَّتِ النَّجُومُ خَلْفَ الْغُيُومِ، وَأَنَاخَ ضَبَابُ الْأَسَى بِكَلْكَلِهِ<sup>(٤)</sup> الْمَقِيَّتِ.

(١) (الزَّنَائِيرُ) جَمْعُ (زُنْبُور) وَ(زُنْبَار)، وَوَأَحَدُهُ: زُنْبَارَةٌ، وَهِيَ حَشْرَةٌ أَلْيَمَةٌ اللَّسْعِ مِنْ  
الْفَصِيلَةِ الزُّنْبُورِيَّةِ.

(٢) (الْعُقْلُ) جَمْعُ (عَقَال)؛ وَهُوَ: الْحَبْلُ الَّذِي يُعْقَلُ بِهِ النَّاقَةُ، وَعَقَلَ الْبَعِيرَ أَي: ثَنَى وَظَيْفَمَهُ مَعَ  
ذِرَاعِهِ وَشَدَّهُمَا جَمِيعًا فِي وَسْطِ الدَّرَاعِ.

(٣) (جَلَامِيدُ) جَمْعُ (جَلْمَد) وَ(جَلْمُود)؛ أَي: صَخْر.

(٤) نَاخَ الْجَمَلُ؛ أَي: بَرَكَ، وَ(الْكَلْكَلُ): الصَّدْرُ، أَوْ مَا هُوَ بَيْنَ التَّرْفُوتَيْنِ.

جَلَجَلَةُ الرِّيحِ تُدَوِّي، وَقَصْفُ الرَّعْدِ يُزْمَجِرُ .. رُعُودٌ وَبُرُوقٌ وَعَوَاصِفٌ  
 وَسُحُبٌ حَمْرَاءٌ تُمَطِّرُ جَمْرًا وَمِلْحًا وَسُمُومًا .. وَهَوَاتِ الْأَغْصَانِ، وَذُبُلِ  
 الشَّجَرِ، وَتَسَاقَطَتْ أَزْهَارُ الرُّبِيِّ، وَامْتَلَأَتِ الْأَرْضُ بِمَيْتِ الزَّهْرِ، وَرَكَدَتِ (١)  
 الدِّمَاءُ فِي العُرُوقِ. وَابْتَرَدَتْ رُويْدًا رُويْدًا، وَشَاعَ فِي الْأَرْضِ المَوَاتُ.  
 يَنْسَحِبُ النُّورُ وَيَتَنَاءَى، وَتَعْلُو الظُّلْمَةُ وَجَهَ الْأَرْضِ .. تَصْرُخُ فِي وَجْهِ  
 الصُّبْحِ .. "وَسَرَتْ سُويَعَاتُ المَسَاءِ مَرِيرَةً مُرْتَحَاتٍ بِالْأَيْنِ، وَاللَّيْلُ مُشْلُولُ  
 الخُطَى .. مُقْعَدٌ، مُكَبَّلٌ بِقِيُودٍ لَا تَلِينُ، وَالصُّبْحُ يُفَرِّقُ مِنْ هَوْلِ الدُّجَى ..  
 يَتَوَارَى .. يَا بَنِي أَنْ يَكُونَ" ..

سَوَادٌ حَجْرِيٌّ طَاغٍ عَاتٍ يَبِثُ الْفَوْضَى .. تَتَعَدَّدُ الخُطُواتِ يَتَعَدَّدُ  
 الْأَقْدَامُ. تَضْطَرِبُ الخُطُواتِ .. تَتَرَنَّحُ، وَتَتَصَادَمُ الْأَقْدَامُ، تُعْوِصُ فِي أَرْضِ  
 رَخْوَةٍ وَأَوْحَالٍ، وَتَنْحَرِفُ الخُطَى .. يَتَلَعَّمُ رَمْلُ الطَّرِيقِ، تَضْطَرِبُ حَبَائِثُهُ،  
 تَرْسِمُ عَلَيَّ وَجْهَهُ خُطُوطًا عَرْجَاءَ .. يَتَوَعَّرُ (٢) المُرْتَقَى، وَتَتَصَدَّعُ الْأَرْضُ،  
 وَالرَّمَالُ الخَائِبَةُ ابْتَلَعَتِ الْأَثْرَ!



وَفَاحَ مِنَ الْأَجْسَادِ الحَمَاءِ اللَّازِبِ .. تَخْتَلِفُ ذَرَاتُ كَيْانِي .. تَتَنَازَعُ ..

(١) رَكَدَتْ: سَكَنَ وَهَدَأَ وَنَبَتَ.

(٢) وَعَرَّ الْمَكَانَ؛ أَي: جَعَلَهُ وَعْرًا، وَ(الْوَعَارَةُ): الصَّلَابَةُ.

تَتَنَافَرُ .. تَبْنِي بَيْنَ بَعْضِهَا الْبَعْضَ جُدْرًا وَسُدُودًا، وَبَقَايَا الْحَبِّ تَنْزَوِي ..  
تَتَوَارَى .. تَذْوِي .. تَذُوبٌ؛ كَخَيَالٍ مِنْ عَالَمِ الْمَوْتِ يَسَابُ بِصَمْتٍ مَا بَيْنَ  
الْقُبُورِ.

حَقْدٌ وَحَسَدٌ يَسْتَحِيلُ إِلَى جَمْرَةٍ تَتَلَطَّى .. إِلَى جَحِيمٍ مُسْتَعِرٍ، دَمٌ  
أَسْوَدٌ يَسْرِي فِي الْعُرُوقِ، يَسْتَحِيلُ إِلَى خَنَاجِرٍ وَسُيُوفٍ. تَتَعَادَى، تَتَبَاعَدُ  
ذَرَّاتُ كِيَانِي، (مَرَارَةٌ وَعَارٌ) .. تَتَلَطَّطُ وَجُوهٌ مِنْ حَجَرٍ خَبَا مِنْهَا اللَّوْنُ  
وَالْبَرِيقُ، تَسْرِي فِيهَا الشُّرُوحُ وَالشُّقُوقُ .. تَتَكَسَّرُ .. تَتَطَايَرُ الذَّرَّاتُ كَرْجَاجٍ  
هَشٍّ قَدْ تَحَطَّمُ.

تَتَنَاطَرُ الذَّرَّاتُ عَلَى الطَّرِيقِ، وَتَخْتَلِطُ مَعَهَا الْأَشْلَاءُ وَالْأَعْصَاءُ وَالِدَّمَاءُ  
.. تَعْوِي الْغُرْبَانُ وَبَنَاتُ آوَى عَوَاءً كَرِيهًا مَدِيدًا فَوْقَ مُسْبَطِ الْعِظَامِ  
وَالجَمَاجِمِ وَالْأَشْلَاءِ، يُرْفِرْفُونَ بِأَجْنَحَةٍ سَوْدَاءَ كَرِيهَةٍ تَحْجِبُ النُّورَ وَتَنْشُرُ  
الظُّلْمَةَ، تَتَجَمَعُ حَوْلَ الْأَشْلَاءِ سِبَاعُ الطُّيُورِ وَجَمَاعَاتُ الْوُحُوشِ الْبَغِيضَةِ  
تَمَرِّقُهَا شِلْوًا شِلْوًا، وَالْحَيَّاتُ الرُّقْطُ<sup>(١)</sup> تَتَمَطَّى كَأَخْطُبُوطٍ<sup>(٢)</sup> لَعِينٍ، تَنْفُثُ

(١) صَرَبٌ مِنَ الْحَيَّاتِ بِهِ رُقْطَةٌ، وَالرُّقْطَةُ: لَوْنٌ مُؤَلَّفٌ مِنْ بَيَاضٍ وَسَوَادٍ، أَوْ مِنْ حُمْرَةٍ  
وَصُفْرَةٍ، وَغَيْرِهِمَا.

(٢) الْأَخْطُبُوطُ: حَيَّانٌ بَحْرِيٌّ إِسْطَوَانِي الشَّكْلِ لَهُ تَمَائِنَةٌ أَرْجُلٍ رَأْسِيَّةٌ، يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي  
شِدَّةِ التَّشَبُّثِ بِمَا يُمَسِّكُهُ.

سُمًّا وَتَتَوَعَّدُ بِفَحِيحِهَا الْبَغِيضِ .. وَتَكْتُرُ مِنْ حَوْلِهَا قُطْعَانُ الذَّنَابِ؛ مُتَقَلِّدَةً  
قِلَادَةَ مُؤَلَّفَةٍ مِنْ رُؤُوسِ الصَّحَايَا الَّتِي تَتَأَرْجَحُ عَلَيَّ إِيقَاعِ وَلُوغِهَا فِي  
الْأَشْلَاءِ .. يَتَقَاطَرُ دَمُ الصَّحَايَا مِنْ أَنْيَابِ الْحَيَاتِ وَالذَّنَابِ مُخْتَلِطًا  
بِالْتُّرَابِ، وَاللِّسَانُ الدَّامِي يَبْرُزُ بَيْنَ أَنْيَابِهَا الْمُلْتَمِعَةِ، تَلُوكُ الذَّنَابُ  
الْمَسْعُورَةَ الْمُضْغَاتِ يَتَشَفَّى .. تَعْلُكُ<sup>(١)</sup> أَكْبَادَ الصَّحَايَا بِانْتِشَاءٍ، فَكَمْ  
اسْتَعَصَتْ عَلَيْهَا سِنِينَ طَوَالَ؟!

و .. "الثَّوْبُ الدَّمَشَقِيُّ الْحَرِيرُ"<sup>(٢)</sup> لَا تَسَلْ مَنْ مَرَّقَهُ؟ وَالْحِصْنُ الصُّلْبُ  
الْمَنِيعُ لَا تَسَلْ مَنْ حَطَّمَهُ؟

لَا تَسَلْ عَنْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُطْفَأَ شَمْسًا تُشْرِقُ مِنْذُ أَكْثَرِ مِنْ أَلْفِ عَامٍ! ..  
لَا تَسَلْ عَنْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّمَ عِيُونًا تَجْرِي مِنْذُ أَكْثَرِ مِنْ أَلْفِ عَامٍ! .. مَنْ

(١) عَلَكَ الْعِلْكَ وَغَيْرُهُ؛ أَيُّ: مَضَعُهُ وَأَدَارَهُ فِي فَمِهِ، وَ(الْعِلْكَ): نَوْعٌ كَاللَّبَّانِ يُمَضَّعُ فَلَا  
يَذُوبُ.

(٢) يُقَالُ: حَرِيرٌ دِمَشَقِيٌّ وَخَزٌّ أَصْفَهَائِيٌّ، وَالْحَرِيرُ الدَّمَشَقِيُّ الْمَقْصُودُ بِهِ نَسِيجُ (الْبُرُوكَارِ) مِنْ  
الْحَرِيرِ؛ وَأَصْلُهُ مِنَ الصِّينِ، وَقَدْ وَصَلَ عَنْ (طَرِيقِ الْحَرِيرِ) إِلَى الشَّامِ. وَكَانَ (طَرِيقُ  
الْحَرِيرِ) يَبْدَأُ مِنْ مَدِينَةِ (شِيَان) فِي وَسْطِ الصِّينِ، وَيَمُرُّ بِإَقْلِيمِ (سِنْكِيَانْج) فِي غَرْبِهَا الشَّامِيَّ  
وَيَتَّجِهْ غَرْبًا إِلَى أَفْغَانِسْتَانَ وَإِيرَانَ وَالْعِرَاقِ، وَتَنْتَهِي الرِّحْلَةُ عِنْدَ مِيْنَاءِ (الِلَّاذِقِيَّةِ)  
السُّورِيِّ، وَمِنْهُ عَبَّرَ الْبَحْرَ إِلَى (جِنُوتَ) فِي إِيطَالِيَا.

يُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَ شَجَرَ النَّخِيلِ الْمُثْمِرِ؟ .. مَنْ أَرْسَلَ الذَّنَابَ لِتَلْتَقَ الْأَثَرُ؟!!

"صَاغَ الْهَدِيلُ حَنِينَهُ فِي نَوْحِهِ دَمْعًا بَكَتْ بِقَرِيضِهِ الْخَسَاءُ".

فَمَنْ يَرْحَمُ الشَّادِي وَيَبْكِي لِلْوَتْرِ؟!!



وَنَجَحَ تَأْمُرُ حَنَافِسِ الْعَبْرَاءِ فِي قَصِّ رِيْشِ النَّسْرِ الَّذِي كَانَ يُحَلِّقُ فِي  
قَصِيِّ الْأَفَاقِ! وَعَاثَ السَّفَالُ فِي الْأَرْضِ الْمُخْضَرَّةِ؛ فَأَحْرَقُوا خُضْرَتَهَا،  
وَتَحَوَّلَ الْمَاءُ دَمْعًا!

وَعَوَتِ الذَّنَابُ فِي الدَّرُوبِ الْمُظْلِمَةِ، تُعْلِنُ كُفْرَهَا بِالْحَيَاةِ وَبِالنُّورِ ..  
تُدَسُّ الْمَعَايِدَ وَالْمَسَاجِدَ .. تُطَارِدُ الصَّلَوَاتِ، يَرْتَدُّ إِلَيْهَا صَوْتُهَا وَلَا مُجِيبَ،  
فَالْمَوَاتُ يَدْبُ فِيهَا حَوْلَهَا نَاشِرًا رِدَاءَهُ الْأَسْوَدَ! صَمَتُ الصُّخُورِ وَصَمَتُ  
الْقُبُورِ، وَفَرَغَ مَيْتُ الْأَفَاقِ .. قَفَرُ جَهَنَّمِيِّ لَعِينٍ، وَ .. "كَمْ خَلَفَتْ مِنْ جُثِّ  
الْأَمْوَاتِ أُنْيَابُ الذَّنَابِ؟!!"

تَنْشِي الذَّنَابُ مَرْهُوَّةً يُولُوعَهَا فِي أَشْلَاءِ الْفَرِيْسَةِ الَّتِي تَنْدَلِقُ أَقْتَابُهَا<sup>(١)</sup>  
وَهِيَ يَلَا حِرَاكٍ، تَرْمُقُهُ بِطَرْفِ جَامِدٍ مَسْحُورٍ مُظْلِمٍ، رَاضِيَةً بِذُلِّ الْقُبُودِ،  
مَبْهُورَةً بِالصِّيَادِ، بَلْ وَتَحْنِي لَهُ الْجِبَاهُ! ..

(١) اَنْدَلَقَ الشَّيْءُ أَي: اَنْدَفَعَ مِنْ مَكَانِهِ، وَ(الْأَقْتَابُ): جَمْعُ (قَتَب) وَ(قَتَب)؛ وَهِيَ: الْأَمْعَاءُ.

وَالْمَعْنَى: تَنْدَفَعُ أَمْعَاؤُهُ مِنْ بَطْنِهِ.



مُسُوخٌ مِنَ الْبُلْهِ<sup>(١)</sup> تَعَجِنُ الْوَهْمَ، وَتَتَجَرَّعُ كَأْسًا دِهَاقًا<sup>(٢)</sup> مِنَ الْأَمَانِي  
الكَاذِبَةِ، وَتُمَيِّي نَفْسَهَا بِأَنْ تَكُونَ يَوْمًا ذُبَابًا مِثْلَهُ .. تَعْوِي كَعَوَائِهِ، تُقَلِّدُ  
حَرَكَاتِهِ، تَسِيرُ مِثْلَهُ فِي الدُّرُوبِ الْمُظْلِمَةِ .. أَضَحَتْ مِثْلَهُ تُحِبُّ الظُّلْمَةَ  
وَتَكْرَهُ أَنْ يَسْتَطَعَ ضَوْءُ الشَّمْسِ! .. بَلْ يُسَعِدُ الصَّحِيَّةَ - يُوَلِّغُ الذُّبَابِ فِي  
أَحْشَائِهَا - أَنْ تَذُوبَ فِي لَحْمِهِ وَدَمِهِ!!

صَنَعَتْ مِنْ بَقَايَا نَجَاسَاتِهِ صَمًّا لَهُ .. تَحْرِقُ لَهُ الْبُخُورَ، وَتُوَقِدُ لَهُ  
الشُّمُوعَ، وَتَتَعَبَّدُ فِي مِحْرَابِهِ! .. هَيَابَةٌ مِنْ لَعْنَتِهِ وَبَطْشِهِ وَعِقَابِهِ، تَرْجُو  
وَتَأْمَلُ أَنْ تَسْتَخْرِجَ مِنْ بَيْتِ نَجَاسَاتِهِ الْيَاقُوتَ وَالْمَرْجَانَ! .. تَرْتَشِفُ مِنْ  
عَصِيرِ عَفْنِهِ الْمَعْجُونِ بِالْوَحْلِ، وَتُصَفِّقُ فِي بِلَاهَةِ فِي مَسْرَحِ الْعَجْرِ لِسَاحِرِ  
يَمُوهُ<sup>(٣)</sup> الْأَشْيَاءِ فِي الْعِيُونِ، وَلَمَهْرَجٍ يَعَجِنُ فِي أَسَانِهِ الزُّجَاجَ وَالْحَجَرَ ..  
وَأَهٍ مِنْ إِبْهَارِ الْمَجُونِ فِي مَسْرَحِ الْعَجْرِ!



(١) (البُّلْهُ) جَمْعُ (أَبْلَه) وَهِيَ (بَلْهَاءُ)، وَ(الْبِلَاهَةُ): صَعْفُ الْعَقْلِ وَعَلْبَةُ الْعَقْلَةِ.

(٢) أَي: كَأْسًا مُتْرَعَةً مُمْتَلِئَةً.

(٣) (التَّمُويْهُ) هُوَ: التَّلْبِيسُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمُخَادِعِ: مُمُوهٌ. وَقَدْ مَوَّهَ فُلَانٌ بَاطِلَةً: إِذَا زَيَّنَهُ وَأَرَاهُ

فِي صُورَةِ الْحَقِّ. وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّهُ يُخَدِّعُ النَّاسَ فَيُرِيهِمُ الْأَشْيَاءَ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهَا.

تَتَكَاتَرُ مِنْ حَوْلِي السَّهَامُ وَالرِّمَاحُ؛ تَتَنَاتَرُ فِي جَسَدِي الطَّعَنَاتُ  
وَالجِرَاحُ، وَلَكِنْ .. كَفَارِسٍ نَيْبِلٍ فِي الزَّمَنِ الصَّعْبِ وَقَتِ الْمِحَنِ، يَتَعَالَى  
عَلَيَّ جِرَاحَاتِهِ، وَلَا يَسْقُطُ أَبَدًا عَنْ صَهْوَةِ جَوَادِهِ، وَلَا يَتَخَلَّى عَنْ مَقْبُضِ  
سَيْفِهِ.

تُوقِظُنِي التَّكَبَّاتُ وَالْمِحَنُ .. تَشُدُّ مِنْ عَزْمِي، تَشْحَدُ هِمَّتِي، فَالْفَارِسُ  
لَا يُوقِظُهُ نَعْمُ قِيثَارَةٍ، وَلَا يُزَعِجُ مَضْجَعَهُ وَلَا يَقْضُهُ صَوْتُ صَفِيرِ بُلْبُلٍ وَلَا  
كَرْوَانٍ .. وَلَكِنْ يُرْهِفُ حَوَاسَهُ نَعِيقُ الْغُرَبَانِ وَعَوِيُّ الدَّثَابِ، وَيُشْحَدُ  
هِمَمَهُ فَجِيحُ الْأَفَاعِي وَزَيْبُ الصَّبَاعِ.



حَرَّ صَدْرِي حَتَّى صَلَّ (١) مِنْ بَلِيَّتِي فِي أَفْلَازِ أَكْبَادِي (٢) كَامْرَأَةٍ حَرِيرَةٍ  
مَكْلُومَةٍ (٣) .. يَثُورُ الْجَمْرُ فِي لُعْتِي .. يَعْلُو نِدَائِي .. نَحُومُ عَيْنَايَ عَبْرَ  
التُّخُومِ .. تَصْعَدُ التَّلَالُ وَتَمْسَحُ السُّهُولَ، أُحَطِّمُ الْأَغْلَالَ وَالْقِيُودَ، أُزِيبُ

(١) أَي: التَّهَبَّتِ الْحَرَارَةُ فِي صَدْرِي حَتَّى سُمِعَ لَهَا صَلِيلٌ، وَحَرَّتْ كَبِدُهُ وَصَدْرُهُ  
وَاسْتَحَرَّتْ؛ يَعْنِي: يَسَّتْ كَبِدُهُ مِنْ عَطَشٍ وَنَحْوِهِ.

(٢) (فِلْدٌ) وَ(أَفْلَازٌ): جَمْعُ (فِلْدَةٌ)؛ وَهِيَ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْكَبِدِ وَاللَّحْمِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.  
(وَأَفْلَازُ الْأَكْبَادِ): الْأَوْلَادُ.

(٣) امْرَأَةٌ حَرِيرَةٌ: حَزِينَةٌ مُحْرَقَةٌ الْكَبِدِ. وَمَكْلُومَةٌ أَي: مَجْرُوحَةٌ.

الْجُدْرَ وَالسُّدُودَ .. أَشْرَقُ وَأُغْرَبُ، أَدَاوِي جِرَاحَاتِي، أَلْمِمْ آهَاتِي  
وَأَشْلَائِي الْمُبْعَثَرَةَ، أَجْمَعُ ذَرَاتِ كِيَانِي الْمْتَنَفِرَةَ .. أُمِيطُ عَنْهَا مَا عَلَقَ بِهَا  
مِنَ الْأَوْحَالِ، أَصْفِيهَا مِنَ الْأَخْلَاطِ وَالْأَوْشَابِ<sup>(١)</sup>، أَضْمَمَهَا بِحَنَانٍ إِلَيَّ  
صَدْرِي، أَدْخَلَهَا بِرَفْقٍ بَيْنَ طَيَّاتِ جَوَانِحِي، أُسْكِبُ فِيهَا مِنْ ذَاتِي،  
أُعِيدُهَا إِلَيَّ كِيَانِي .. أَسْقِيهَا مِنْ قَوَارِيرِ بِلْسَمِي، وَكُؤُوسِ تَرْيَاقِي الَّذِي لَمْ  
يَنْضُبْ وَلَنْ يَنْضُبَ أَبَدًا عَبْرَ السِّنِينَ.

أَمْسَحُ عَنْهَا الْعُبَارَ وَالتَّحْفِيرَ وَتَجَاعِيدَ السِّنِينَ .. أَبْنُهَا نَجْوَايَ وَوَجْدِي،  
أَصْرُخُ فِيهَا أَنْ تَصْحُو، أَذْكَرُهَا بِمَاضِي لَا يَمْحَى، وَأَنْ لَا تَهْوَى لِقَاعٍ مِنْ  
غَيْرِ قَرَارٍ! .. أَسْمِعُهَا أَنْبَاءَ أَمَلِي وَنَحِيبَ رَجَائِي، وَأَرْشِفُهَا رُضَابَ أَسَايَ  
وَرَحِيقَ أَلْمِي.

أَبْكِي بُكَاءَ حَارًّا بُكَاءَ تَكَالَى السُّورِ مَا فَقَدْتِ مِنْ سُورٍ كَانَتْ تَضْرِبُ  
يَوْمًا بِأَجْنِحَتِهَا مُحَلَّقَةً فِي كَبَدِ السَّمَاءِ مُحَدِّقَةً فِي عَيْنِ الشَّمْسِ؛ فَيَا لَوْعَةَ  
الْمَحْزُونِ فِي كَبِدِي!!



تَحَوَّلَتْ الْأَحْزَانُ فِي صَدْرِي إِلَيَّ رِيحٍ عَاصِفَةٍ تَقْتَلِعُ نِيَابَ الْقَلْبِ<sup>(٢)</sup> ..

(١) (الْوَشْبُ) وَجَمْعُهُ (أَوْشَابُ): الْأَوْبَاشُ وَالْأَخْلَاطُ.

(٢) نِيَابُ الْقَلْبِ: مَا عَلِقَ بِهِ إِلَيَّ الرَّتَّتَيْنِ.

وَهَمَى الدَّمْعُ<sup>(١)</sup> مِدْرَارًا ..

تَسَاقَطَتْ قَطْرَاتُ دُمُوعِي، تَسَابُ سَخِينَةً<sup>(٢)</sup> مِنْ تَعَبٍ<sup>(٣)</sup> فُؤَادِي  
 (مَسْكَنِ الْأُنَاتِ) عَلَيَّ أَرْضٍ جَرِلَةٍ<sup>(٤)</sup> خَاشِعَةٍ<sup>(٥)</sup> عَطَشِي؛ فَاهْتَزَّتِ الْأَرْضُ  
 وَرَبَّتْ .. مِنْ بَعْدِ بَوَارٍ قَدْ لَأَنْتُ، تُنْبِتُ عُشْبًا أَخْضَرَ .. بَرَاعِمُهُ الصَّغِيرَةَ  
 تُنْبِعُ فِيهَا الْحَيَاةَ، وَتَبْعُ الْحَيَاةَ .. تَضْرِبُ بِجَذُورِهَا الضَّعِيفَةَ بَيْنَ  
 الصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ .. تَشْقُ . بِإِصْرَارٍ . طَرِيقَهَا نَحْوَ الْحَيَاةِ! أُنْحِ مِنْ طَرِيقِهَا كُلَّ  
 سَاقِطَةٍ تَلْمِمْ الدُّلَّ وَالْخَزِيَّ لِلْمَأْفُونِينَ .

وَيَوْمًا .. يَقْوَى الضَّعِيفُ، وَالْبُرْعَمُ الصَّغِيرُ يُصْبِحُ شَجَرَةً، تَتَشَابَكُ فِيهَا  
 الْأَغْصَانُ، تُصْبِحُ ظِلًّا وَارِفًا وَخَمِيلَةً تُصَدِّحُ فِيهَا الْأَطْيَارُ .. وَيَصْحُو النَّائِمُ  
 عَلَيَّ صَوْتِ الْفَجْرِ. وَتَتَفَتَّحُ الْجِرَاحَاتُ قُطُوفًا دَانِيَةً مِنَ الْعَزِيمَةِ الصَّادِقَةِ

(١) أَي: كَأَسَا مُرْعَةً مُمْتَلِئَةً.

(٢) سَخِينَةٌ؛ أَي: حَارَّةٌ، فِدْمُوعُ الْحَزَنِ تَكُونُ سَاحِنَةً أَي: كَأَسَا مُرْعَةً مُمْتَلِئَةً.

(٣) التَّعَبُ: هُوَ بَقِيَّةُ الْمَاءِ الْعَذْبِ فِي الْأَرْضِ، وَالْجَمْعُ: (تُغْبَانُ). وَ(التَّعَبُ) -بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ:  
 سَيْلُ الْوَادِي، وَالْجَمْعُ (تُغْبَانُ).

(٤) الْجَرْلُ: الْمَكَانُ الصَّلْبُ الْغَلِيظُ الشَّدِيدُ مِنْ ذَلِكَ، وَمَكَانُ (جِرْلٍ) وَالْجَمْعُ (أَجْرَالُ).  
 وَأَرْضُ جَرِلَةٍ: ذَاتُ جَرَاوِلٍ وَغَلِظٍ وَحِجَارَةٍ.

(٥) أَرْضٌ خَاشِعَةٌ؛ أَي: يَابِسَةٌ لِعَدَمِ الْمَطْرِ.

نَحْوَ الشِّفَاءِ.

أُصِحُّ قُطْبًا مَعْنَاطِيْسِيًّا؛ تَتَجَمَّعُ حَوْلَهُ الذَّرَّاتُ .. تَتَشَابِكُ .. تَتَلَاحَمُ،  
تُصِحُّ سَيْفًا مَشْهُورًا يَسْحَقُ رَأْسَ الْحَيَّةِ، وَيَذْرِي<sup>(١)</sup> رَأْسَ الذَّنْبِ.



وَعَدَا .. تَصِيحُ "دِيكَةُ الْفَجْرِ تَطْرُدُ بَقَايَا النَّوْمِ مِنْ عِيُونِ الزَّهْرِ" ..  
فَعَدَا .. يُشْرِقُ فَجْرٌ جَدِيدٌ!



(١) الإِذْرَاءُ: ضَرْبُكَ الشَّيْءِ تَرْبِيءَ بِهِ، تَقُولُ: ضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ فَأَذْرَيْتُ رَأْسَهُ. انظُرْ: "لِسَانُ